



جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا

مناظير الدراسات العربية والإسلامية لمكافحة الفساد
وانعدام الانضباط في نيجيريا

للمؤتمر الوطني الرابع والثلاثون

نظمتها جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية في نيجيريا

كلية العربية متنا - ولاية نيجيريا

كتاب المؤتمر

1437 هـ \ 2016 م

الدكتور عبد الفتاح كولا ماكندي
رئيس اللجنة التحريرية



NATIONAL LIBRARY AND ARCHIVES

الوازع الديني وأهميته في قمع الفساد في نيجيريا

عبد الحميد بدماصي يوس

قسم الأديان ، كلية الآداب

جامعة إلورن إلورن نيجيريا

٠٨١٣٤٩٢٤١٧.

abdulhameed14.3@gmail.com/

yusuf.ab@unilorin.edu.ng

مقدمة:

إن نيجيريا كانت بلدة مستعمرة تحت سلطة بريطانيا، حصلت على استقلالها سنة ١٩٦٠م، وهي من الدول الواقعة في غرب إفريقيا، وتوجد فيها قبائل مختلفة بلغات متنوعة وأعراف متباينة، ولعل أشهر هذه القبائل قبيلة هُوسا وقبيلة يورُبا وقبيلة إيبُو، كل بلغتها وأعرافها وتقاليدها المتميزة. ومن حسن حظ نيجيريا أن أرضها خصبة صالحة للزراعة، كما تتمتع بثروات معدنية كثيرة مثل البترول الأمر الذي جعلها من الدول المنتجة للبترول في العالم، كما أن لها رجالا أكفاء في كافة مجالات الحياة، غير أن هذه الثروات الهائلة لا تسمن ولا تغني شعبها من جوع، بل يختنق الفقر عنقه، ويعاني مشاكل اقتصادية واجتماعية وأمنية خطيرة، ولا شك أن السبب الرئيس لهذه المشكلات يرجع إلى مرض فتاك، وهو الفساد، ذلك المرض الذي يصيب الرؤساء والساسة كما ينتاب المواطنين العاديين. ولقد تنهت الحكومة النيجيرية لخطورة هذا المرض منذ زمن مبكر وأخذت مبادرات صارمة بوضع قوانين عارمة لمعالجته، ولكن باءت هذه المبادرات بالفشل، وبدلا من أن تقلل من حد المرض فإنه يزداد تفاقمًا يوما فيوما، مما يجعل الشعب النيجيري أياس الشعب في العالم، وظل يعيش فقيرا في دولة ثرية! وإذا أمعنا النظر في تلك المبادرات وجدنا أنها لا تكفي لحرب الفساد، لأنها فقدت الجانب الهام، ألا وهو الوازع الديني الذي يمثل المبادرة الداخلية من الجانب الروحي، والذي يعتبر مقدمة لازمة لنجاح تلك المبادرات الخارجية. وطبعًا، يمكن تحقيق هذا الجانب الأهم عن طريق تربية الصبيان وتعليمهم تعاليم الدين وقيمه في المدارس كيما يصيروا في المستقبل رجالا واعين صالحين يسعون في تقدم البلاد وأمن العباد. ولكن للأسف الشديد لا تهتم الحكومة بمادة الدين في مدارسنا مثل اهتمامها بالمواد الأخرى أمثال الإنكليزية والحساب والاقتصاد من مواد الآداب والعلوم. ولقد كان لمادة الدين أهمية بالغة في ترسيخ القيم في الصبيان، وغرس الأخلاق الحميدة فيهم وتجنبيهم الأخلاق الذميمة مثل الفساد، وعليه تدعو

هذه الورقة الجهة المعنية لإعادة النظر في مادة الدين مؤكدة على ضرورة جعلها مادة إجبارية يدرسها الطلبة بجدية فائقة كما يدرسون الإنكليزية والحساب وغيرهما.

الفساد في نيجيريا بين الأمس واليوم:

قبل الشروع في الكلام حول نشوء الفساد في نيجيريا من المستحسن تسليط الضوء على مصطلح الفساد وذلك بتعريفه تعريفاً شاملاً. إن لفظ الفساد في اللغة فعل ثلاثي يتكون من (ف س د) وهو أصل يدل على الخروج^١، كما يعرف الفساد في اللغة أيضاً بأنه: العطب والتلف وخروج الشيء عن كونه منتفعاً به، ونقيضه الصلاح^٢، وعلى الرغم من أن للفساد أكثر من معنى في معاجم اللغة العربية فإنها تشترك في أنه زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة، وهو تعبير يدل على وجود شيء صحيح سليم خرج عن أصله ففسد^٣. وكذلك يستمد لفظ الفساد - بشكل عام - معانيه في الشريعة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية في نصوص مختلفة. وقد وردت مادة (فسد) في خمسين موضعاً في القرآن الكريم، منها أحد عشر موضعاً ذكرت فيها كلمة فساد، حيث جاءت الكلمة معرفة بالألف واللام في ستة مواضع، وكم ذلك: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ

لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ^٤ وَاللَّهُ لَا تُحِبُّ الْفُسَادَ^٥). كما جاءت

مجردة من الألف واللام في خمسة مواضع، منها قوله تعالى: (مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ^٦).

ويأتي التعبير على معانٍ عدة بحسب موقعه، فهو (الجذب أو القحط) كما في قوله تعالى: (ظَهَرَ

الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ^٧). سورة الروم، الآية: ٤١. كما يعني (الطغيان والتجبر) مثل ما في قوله

تعالى: (تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِمَن لَّا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا^٨

وَالْعِصْبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ القصص، الآية: ٨٣، أو (عصيان لطاعة الله) كما في قوله تعالى:

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨٤﴾). سورة المائدة،

الآية: ٣٣.

وفي الحديث الشريف ورد لفظ الفساد فعلا، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب). والملاحظ في الآيات السابقة أن لفظ الفساد ومشتقاته ومرادفاته التي وردت في القرآن الكريم جاءت بمعاني كثيرة كالخروج على الصراط المستقيم، وارتكاب المعاصي والموبقات، والكفر بالله تعالى، والنفاق، وقطع ما أمر الله تعالى أن يوصل، وتخويف الأمنين، ونهب الأموال، والإسراف، وسفك الدماء، وإهلاك الزرع والضرع والنسل، وغير ذلك كثير، كما تجلّى لنا فيها أن الله سبحانه وتعالى حرم الفساد بشكل قطعي، وأقر بأنه لا يحب كل من ارتكب الفساد وأن المفسدين عرضة للخي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

ولقد بات واضحا في تلك الآيات القرآنية أن عاقبة الفساد تكون وخيمة كما بدا جليا في قصة قارون الذي بغى في الأرض فسادا بعد ما أعطاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، وبالرغم من نصيحة قومه له أن يشكر الله وألا يبغى الفساد في الأرض تجبر وتكبر عليهم فخسف الله به وبداره الأرض وكان من الهالكين، وفي نهاية هذه القصة القرآنية الجميلة ذكر الله أن الدار الآخرة تكون حكرا على الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، مما يعني أن الفساد جريمة كبرى تمنع مرتكبها من دخول الجنة. والقصة موجودة في سورة القصص على النحو التالي:

(إِنْ قَرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦٢﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ

مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ
 يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً
 وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
 فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَنْلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ
 قَرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ
 اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾
 فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا
 كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ
 يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ
 مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
 نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾

٩ فمصطلح الفساد عبارة عن خلق ذميم يخالف النهج الحسن، وهو ضد الصلاح الذي
 هو خلق حميد يطابق النهج الحسن، وهو كذلك استعمال السلطة العامة أو الوظيفة العامة
 للكسب الخاص.

إذاً الفساد مشكلة بشرية وغالبا ما يحصل في المجال المالي والسياسي، وله انعكاسات سلبية على
 التقدم الفردي والوطني. وهو كذلك ظاهرة عمت جميع البلاد شرقها وغربها، طولها وعرضها، ولا
 يكاد ينجح منه أي بلد من بلدان العالم، ولقد صدق الله تبارك وتعالى في سورة الروم لما قال:
 (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي

ظهور الفساد في نيجيريا كما قبل الاستقلال حيث لم يفسد الملك كما كان
قد نال ما نال في بريطانيا بل بقيت الاستقالات والفساد

عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ سورة الروم، الآية: ٤١؛ إلا أنه تختلف درجة الفساد من بلد
إلى آخر، ويبدو أن درجتها في نيجيريا أعلى من غيرها من البلدان الإفريقية. كما قيل إن تاريخ
الفساد في نيجيريا يرجع إلى عصر ما قبل الاستقلال حيث تواطأ المواطنون مع البريطانيين
لاسترقاق الشعب النيجيري وسوقهم عنفا وعدوانا إلى البلدان الغربية بهدف العبودية وتقديم
الخدمات الخسيسة لرجال السلطة والتجارة في بلدان الغرب. وازدادت درجة الفساد في عهد ما
بعد الاستقلال بالرغم من أن المستعمر البريطاني قد فوض أمر السياسة للسلطة المحلية. ولعل
نقطة الانطلاق للفساد في نيجيريا كانت بالانقلابات العسكرية مباشرة بعد الاستقلال.
الحكومة النيجيرية ومحاربة الفساد:

لقد حاولت الحكومة النيجيرية عبر العهود - وما زالت تحاول - محاربة الفساد واجتثاث جذوره
من الساحة. ولعل الشهيد جنرال مرتضى رحمة محمد كان أول رئيس أوقد نار الحرب ضد الفساد
في نيجيريا سنة ١٩٧٦م، حيث كرر في خطابه أن "لن نسمح للفساد". ولم يلبث أن تأمر عليه
جنود الفساد فقتلوه يوم الجمعة سنة ١٩٧٨م. نتيجة لهذا الاغتيال الشنيع كادت نار الحرب ضد
الفساد تطفأ لولا أن الله قيض رجلا أمثال جنرال محمد البخاري ونائبه بابا تَنْدِي إدأْبُنْ اللذين
توليا قيادة البلاد بعد انقلاب عسكري على حكومة ديمقراطية تحت رئاسة الرئيس المدني الحاج
شيخو شاغاري، وذلك سنة ١٩٨٣م، والسبب الوحيد لهذا الانقلاب العسكري - كما أفادت بذلك
القوة العسكرية - هو ضرورة قمع الفساد الذي قد عم أراضى نيجيريا واجتاح جميع القطاعات
العامة دون تمييز، ولمعالجة هذا المرض الفتاك شن الجنرال محمد البخاري هو ونائبه الصارم بابا
تَنْدِي إدأْبُنْ حربا شرسة على الفساد، وذلك بوضع حملة هادفة اصطلاحا عليها بالحرب ضد عدم
الانضباط. وحققت هذه الحملة بعض النجاح، حيث إن الشعب النيجيري التزم بالقوانين في
تصرفاتهم الاجتماعية والاقتصادية، كما سجنّت الحكومة العسكرية عددا كبيرا من الساسة
الفاستدين وعاقبت المخالفين للضوابط الموضوعية لسير الأنظمة العامة بالنظام والهدوء؛ وخلال
هذه الفترة أضحت نيجيريا دولة محترمة في العالم، لأن مواطنيها أصبحوا منضبطين، كما نقص
معدل الفساد بدرجة كبيرة! ولكن أجهضت الحرب ضد الفساد عندما حدث انقلاب عسكري آخر
الأمر الذي أدى إلى تولية الجنرال إبراهيم بدماصي بابن غدا، رئيسا عسكريا جديدا لدولة نيجيريا،
وأسفر هذا الانقلاب العسكري عن عودة الفساد إلى البلاد بقوة زائدة، واشتهرت حكومة بابن غدا
بأنها مهبط الفساد.

(صندوق المال العالمي)

والمسلم به لدى الشعب النيجيري أن حكومة بَابُنْ غِداً لم تهتم بقمع الفساد بل ساعدت على انتشاره على نطاق واسع، كما استقرضت الدولة -لأول مرة- أموالاً باهظة من IMF^٧ في عهده، وكذلك الأمر مع ثاني أبْتْ (Abatcha) الرئيس العسكري الآخر، الذي أخذ زمام الحكم بعد انقلاب عسكري سنة ١٩٩٣م إلى وقت وفاته على العرش عام ١٩٩٨م. ثم جاء بعده جَنْزَالْ عبد السلام أبوبكر وقضى شهوراً قبل العودة إلى الحكومة الشعبية بانتخاب أولُوشِيغْنْ أُوْبَاسَنْجُو رئيساً جديداً. ولما تولّى أُوْبَاسَنْجُو القيادة حاول مواصلة الحرب ضد الفساد، وفي سنة ٢٠٠٠م أسس لجنتين كبيرتين^٨ بهدف قمع الفساد ونظهير الأراضي النيجيرية من أدرانته عن طريق اللجنتين، وهما: EFCC و ICPC، كما استمر محاربة الفساد في عهد الرئيس الراحل الحاج عمر موسى يَزَادُوْا بعد ما خلف أولُوشِيغْنْ أُوْبَاسَنْجُو سنة ٢٠٠٧م، غير أنه لم يحقق كثيراً من أمنياته في حرب الفساد لأنه توفي على العرش سنة ٢٠١٠م، فخلفه ~~نائبه~~ غُوْدُلُوْكَ جُونغْنْ رئيساً سنة ٢٠١٠م، إلى أن تم تبديله سنة ٢٠١٥م في الانتخابات العامة حيث انتخب الرئيس العسكري السابق محمد البخاري رئيساً جديداً؛ وفي عهد غُوْدُلُوْكَ باءت الحرب ضد الفساد بالفشل إذ تمكن رجال الحكومة من إطفاء نار الحرب ضد الفساد حتى أصبح الفساد هوية الحكومة النيجيرية. ولا شك أن حكومة محمد البخاري تحاول محاربة الفساد ولكن الطريق طويل والزاد قليل حيث إن الساحة قد ملأت بعناصر الفساد وكثر عدد المفسدين أكثر من المصلحين مما يجعل النجاح في محاربة الفساد صعب المنال، ذلك لأن قلوب الناس خاوية من القيم والأخلاق الحميدة التي ترشد نحو الصلاح والإصلاح وتعصم من الفساد والإفساد.

وللفساد آثار سلبية بالغة، ولعل الفقر أكبر هذه الآثار حيث إن الأموال العامة لا تصرف في مصالح عامة بتوفير البنية التحتية والمسجلات من مستشفيات ومدارس وطرق ونواد مما يفيد الشعب، بل تهدر ثروات البلاد في سبيل تحقيق الأغراض الخاصة. ولقد أفادت دراسة أجراها البنك العالمي أن من مؤشرات الفقر في نيجيريا عدم توفير الطعام والسكن والتربية والصحة الكافية للمواطنين^٩.

وعلى الرغم من أن الحكومة النيجيرية قد وضعت اللجان والوكالات لمكافحة الفساد فإن حدته أخذت تزداد مع تقادم الأزمان، وتفنن الناس في ارتكاب الفساد بأوجه مختلفة وبأساليب متقدمة، ومما يزيد الطين بلة أن سرطان الفساد قد تسربل إلى قطاع القضاء والعدل الذي يعتبر ملاذاً أخيراً يلتجأ إليه العاديون للحصول على حقوقهم، وممن يؤسف له أن بعض القضاة في نيجيريا قد اهتموا بأنواع من الفساد من رشوة واختلاس وابتزاز وغسل الأموال، مما يخيب أمل التغلب على الفساد ورجاء المواطن العادي للحصول على العدالة في المحكمة. والله در الشاعر:

إذا خان الأمير وكاتباه # وقاضي الأرض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل # لقاضي الأرض من قاضي السماء

ولا غرو أن فساد القضاء بلاء عظيم لبلاذ نيجيريا وهو دليل واضح على أن محاولة الحكومة
لحرب الفساد في البلاد قد باءت باليأس والفشل؛ والأقبح من هذا الفساد المطرد في قطاع
الشرطة مما لا يخفى على الصغير والكبير والمقيم والغريب، والرجال والنساء، والسؤال المطروح
هو: لماذا تعجز الوكالات واللجان والمؤسسات الموضوعة لمحاربة الفساد عن تحقيق الهدف؟ إن
الجواب لهذا السؤال هو أن كل مبادرات الحكومة لمحاربة الفساد إنما هي مجرد قوة خارجية، ولا
تجدي هذه القوة مالم تساندها القوة الداخلية المفقودة والتي هي الوازع الديني؛ وبعبارة أدق لا
ينجح الحرب ضد الفساد إلا إذا اعتدت الحكومة بهذه القوة الداخلية التي تجعل المواطنين
منضبطين وصالحين ومصلحين.

مفهوم الوازع الديني:

والوازع الديني عبارة عن السلطة الرادعة الكائنة في أعماق الإنسان وتلعب دور الضابط الخفي في
صرف الإنسان عن الكذب والخيانة وغيرهما من التصرفات السيئة، وتتولد هذه السلطة من فهم
الإنسان للدين وممارسته له واتباع تعاليمه كما جاء به رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم،
والإنسان الذي تجسد هذه السلطة عاش الحياة بالشعور الدائم بمراقبة الله له في السر والعلن،
فلا يتصرف بما يخالف مبادئ الإسلام وتعاليمه بل تبعده تلك السلطة عن مواطن الجرائم قولاً
وفعلاً، وإذا أوتمن لا يخون بل يؤدي الأمانة كما ينبغي، وإذا جعل رائدا لقومه لا يكذب ولا
يخادعهم بل يكون لهم سفيرا أميناً ورئيساً صالحاً، يسعى لتحقيق المصالح العامة لقومه؛ وليس
هناك أصل تنبثق منه هذه السلطة سوى الدين، أي الإسلام إذ كان الدين الوحيد الذي رضي
الخالق لخلقه، وهو دين جميع الأنبياء والرسل، ومنه يستمد الإنسان الهداية والرشد والأخلاق
الحميدة. وسلطة الوازع الديني هي التي تمنع الإنسان المسلم من الأكل والشرب والجماع في نهار
رمضان لا لكون هذه الأمور حراماً ولكن كان ذلك منه امتثالاً للأمر الإلهي في فرض الصيام على
المسلمين ذكورهم وإناثهم لكي يفوزوا بالتقوى، وإذا كان الإنسان المسلم يتجنب هذه المباحات في
نهار رمضان إيماناً بالله واحتساباً لثوابه فإنه يهون عليه ترك المحرمات في كل وقت وحين.

تحقيق الوازع الديني عن طريق مادة الدين حل حاسم للفساد في نيجيريا:

ولما كانت القوة الخارجية المتمثلة في الوكالات المتعددة قد سقطت فاشلة أمام جيوش الفساد في نيجيريا، فإن الأمر يقتضى البحث الحثيث عن الحل البديل لمواجهة الفساد، بناء على أمر مسلم به أن لكل مشكلة حلا، كما أن طبيعة المشكلة هي التي تحدد طبيعة الحل، والفساد لا شك أنه مشكلة تصيب النفس البشرية وتحيد بها عن الصراط الجاد فتميل عن المثل العليا والأخلاق السامية لترتكب أنواع الفساد وتتعدى على حقوق الآخرين، وعليه فإن الحل الوحيد يكمن في تربية نفس البشرية تربية دينية، وذلك بغرس القيم والأخلاق الحميدة في الإنسان، مما يقوده نحو الصلاح ويعصمه من الوقوع في هوة الفساد؛ ويمكن تحقيق هذا عن طريق تعاليم الدين التي تقوم اعوجاج المرء وتجعله إنسانا صالحا ومصلحا غير فاسد ومفسد.

وإذا كان البيت أول مدرسة لتربية الإنسان فإن المدرسة النظامية وغير النظامية لا تقل أهمية حيث إن الإنسان يقضي معظم أوقاته في المدرسة تحت رعاية المدرسين، والمدرسة توفر بيئة مناسبة لغرس القيم والأخلاق السامية في الإنسان منذ الصغر، غير أن سياسة التربية في نيجيريا لا تقيم لمادة الدين وزنا، رغم أنها هي التي تمد الإنسان بالقيم والأخلاق الحميدة، ولكن الحكومة لا تعتبرها مادة ذات أهمية كبرى في صناعة الإنسان الكامل خلقا وعلماء، بل إن مادة الدين لما تنبأ مكانته اللائقة في مدارسنا، ولو كانت الحكومة صادقة في كراهيتها للفساد ومحاربتها له فإن عليها أن تعيد النظر في مكانة مادة الدين في المدارس، بل يجب عليها أن تجعل مادة الدين مادة إجبارية يدرسها جميع الطلبة بنفس الهيبة التي يدرسون بها مواد أخرى من إنكليزية وحساب... إلخ، كي ينشأ الطلبة على الأخلاق الحميدة كالصدق والأمانة والوفاء بالعهد وغيرها من لوازم الصلاح، كما يتجنب الأخلاق الذميمة كالكذب والخيانة والغدر وغيرها من مستلزمات الفساد.

مكانة مادة الدين في السياسة التربوية القومية:

إن مادة الدين من المواد المدروسة في المدارس النيجيرية في المرحلتين الإعدادية والثانوية غير أنها لا تحظو بما تستحق من العناية من قبل الجهات المهنية؛ ولقد أصدرت الحكومة النيجيرية سياسات مختلفة وقرارات متضاربة عن التربية والتعليم بصفة عامة والمواد المدروسة بصفة خاصة. أصدرت دولة نيجيريا أول السياسة التربوية سنة ١٩٧٧م، وضمنتها رؤي الدولة للتربية والتعليم، وأهمية تنشئة الجيل على قيم كريمة، وأخلاق جميلة، كما شملت السياسة سبل تحقيق الهدف المنشود في التعليم والتربية؛ وفي تلك السياسة كانت مادة الدين مادة إجبارية في المرحلة الإعدادية

١٩٧٧ - إجبارية على الابتدائية والإعدادية والثانوية

١٩٨١ - جعلت اختيارية المادة الدينية في المرحلتين
١٩٩٨ -

للطلبة المسلمين، بينما جعلت اختيارية في المرحلة الثانوية؛ وفي الإصدار اللاحق الذي نشر عام ١٩٨١م لم تتغير حالة مادة الدين بل ظلت إجبارية في المرحلة الإعدادية واختيارية في المرحلة الثانوية، ولكن في الإصدار الثالث التي تم نشرها سنة ١٩٩٨م تغيرت حال المادة ولم تعد إجبارية في المرحلة الإعدادية كما كانت من قبل، بل قرر المعنيون بجعلها مادة اختيارية في المرحلتين الإعدادية والثانوية مما يعني أن الطالب لم يعد ملزماً بدراسة مادة الدين كمادة إجبارية، بل له حق الاختيار للمادة وله أن يتركها إن شاء دون أية مؤاخذة.^{١٠}

وللأسف الشديد تعرضت مادة الدين لأكبر محنة سنة ٢٠١٢م، لما قررت الحكومة بسلبها الاستقلالية كمادة وأدرجتها مع مواد أخرى تحت ما اصطلح عليه بمادة القيم الدينية والقومية^{١١} مما يعني أن لا وجود لمادة الدين في السياسة التربوية النيجيرية لا كمادة إجبارية ولا كمادة اختيارية! ولا شك أن هذه السياسة تهميش لمادة الدين بقدر ما كانت تجاهلاً لأهميتها في غرس القيم السامية والأخلاق الراقية في الطلبة الذين تقع قيادة البلاد على عواتقهم في المستقبل، كما أن هذه السياسة تتعارض مع أهداف التربية والتعليم التي تنص على النحو التالي:

١. غرس الوعي القومي والوحدة القومية في الطلبة.
٢. غرس القيم الأمثل لتحقيق النجاح للأفراد والمجتمع النيجيري^{١٢}.
٣. غرس المبادئ الروحية والأخلاقية لترشيد العلاقة الإنسانية
٤. تربية النفس لفهم الحياة ومحتوياتها.^{١٣}

وإذا أجملنا النظر في هذه الأهداف وجدناها مرموقة وشاملة إلى حد ما حيث جعلت الحكومة القيم والوحدة نصب عينها لصالح الأفراد والمجتمع، غير أنها لا تهتم بعلاقة الإنسان مع ربه بل تنحصر في علاقة الإنسان مع غيره، وهذا نقص كبير يجب تداركه في الإصدار اللاحق بجعل مادة الدين مادة إجبارية في المدارس، لأن علاقة الإنسان مع غيره وبلاده لا تكون على ما يرام ما لم يكن الاعتداد برب العباد والاعتماد عليه كمصدر الأحكام والقيم والأخلاق.

ومهما بلغ الإنسان في التربية فإن المجتمع لا يقيم له وزناً إذا لم يتزين بالأخلاق النبيلة والقيم الجليلة، التي تتسنى له عن طريق تعاليم الدين والتي لا تحققها له أية قوة خارجية أمثال EFCC و ICPC. وهذا هو ما نشاهده في الساحة حيث يرتكب الساسة والعمال أصناف الفساد التي توحى بالخلل الكبير في القيم والأخلاق السامية.

ثم إن قمع الفساد يتطلب تزكية قلب الإنسان الذي يعتبر موضع الخير والشر لأن صلاح جسد الإنسان مرهون بصلاح قلبه ويكون لذلك أثر بالغ في تصرفات الإنسان قولاً وفعلًا، ولكن إذا لم يتم تزكية القلب وصلاحه فإن الإنسان لا يصلح جسده، بل يفسد وتصدر منه جميع أنواع الشر والفساد، مما يؤثر عليه وعلى مجتمعه سلباً؛ هذا هو ما بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف، السالف الذكر.

وكذلك كانت تعاليم الدين هي التي ترشد الإنسان وتعمل على تزكية قلبه ليكون صالحاً، لأن الدين أي الإسلام له من القوة والهيبة ما يجعل معتنقيه يجتنبون المنهيات ويبغضونها ويمثلون بالأوامر ويمقونها بناءً على العقاب الذي توعد الجبار الفاسدين والمفسدين، والثواب الذي وعد الرحمن الصالحين والمصلحين؛ وما إن واطب المسلم على الصلاة والصيام وامتثل أوامر الإله حتى يولد فيه كل ذلك سلطة تردعه - تلقائياً - من ارتكاب الجرائم سواء أكان بين الناس أم كان في غرفته وحده حيث لا يراه الناس، بل يشعر دائماً بمراقبة العليم البصير السميع له في السر والعلن. ومثل هذه السلطة الرادعة لا تملكها أية قوة خارجية لقمع الفساد مثل ما ذكرنا آنفاً لأن الإنسان العادي الذي يعيش بعيداً عن تعاليم الدين وقيمها لا بد أنه يفتقد الوازع الديني، وبسبب هذا لا يترجر ولا يكف عن ارتكاب الجريمة إذا كان في منأى عن القوة الخارجية التي تراقبه؛ كما أن الإنسان نفسه لا يروق له التزام الأحكام ما لم يكن هناك ثواب محدد للملتزمين. وفقدان هذا الجانب الإيجابي هو مما يجعل مبادرات الحكومة في قمع الفساد هباءً منثوراً. فالحكومة عن طريق EFCC و ICPC إنما حددت العقاب للمجرمين فقط - وإن كان الأقوياء معصومين من المعاقبة والمساءلة- ولم تحدد أي ثواب للمحسنين الملتزمين؛ وهذا يخالف ما استقر في الدين الإسلامي حيث يثاب المحسن والملتزم، كما يعاقب المسيء والمجرم.

ونبذة القول أن دراسة مادة الدين في المدارس تساعد على غرس الأخلاق النبيلة والقيم الجليلة في الطلبة فيتجنبون رذائل الأخلاق مثل الكذب والخداع والسرقة وغيرها من عناصر الفساد، كما تجعله مواطناً صالحاً يشعر بالمسؤولية تجاه المجتمع والأفراد.

الخاتمة:

إن الفساد داء عضال صعب معالجته، وقد بذلت الحكومة النيجيرية ولا تزال تبذل مجهودات جبارة للتغلب على الفساد، ولكن الوضع ازداد تفاقمًا وأخذ المرض يتسربل إلى كافة القطاعات حتى أصاب قطاع القضاء والعدل مما يدل على أن تلك المجهودات المبذولة من قبل الحكومة غير كافية لمكافحة الفساد، والسبب الوحيد لعجز هذه المجهودات هو أن المرض يتطلب معالجة الجذر

symptom

حتى يجتث من أصله. بينما كانت تلك مجهودات الحكومة إنما تعالج الأمازة. وعليه يجب على الحكومة أن تسعى لتربية النفس البشرية وتنقيتها من الأدوار والأثام التي قد لوثت صفاءها. وذلك بجعل مادة الدين مادة إجبارية يدرسها الطلبة من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية كما يدرسون مواد أخرى مثل الانكليزية والحساب وغيرهما. وإلا تفعل الحكومة بظل الفساد داءاً قائماً ولا يزال يكون سبباً وحيداً لظهور الفساد وانتشاره في ربوع البلاد مما يؤدي إلى الفقر والتخلف. لأن مادة الدين هي التي تمد الطلبة بتعاليم وقيم وأخلاق حميدة تقوده نحو الصلاح وتعيصه من الفساد.

قائمة الهوامش:

^١ الأصفيان الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة،

٢٠٠١، ص ٣٨١.

^٢ الرحيلي، وهبة، التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية، مكافحة الفساد، بحث مقدم إلى المؤتمر العربي والدولي لمكافحة الفساد في الفترة ما من ٦-٨ أكتوبر ٢٠٠٣ م، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية،

^٣ علي، جعفر عبد السلام، التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية، بحث مقدم إلى المؤتمر العربي والدولي لمكافحة الفساد في الفترة ما من ٦-٨ أكتوبر ٢٠٠٣ م، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ص ٤٨.

^٤ عبد القوي بن لطف الله علي جميل، أنماط الفساد وآليات مكافحته في القطاعات الحكومية بالجمهورية اليمنية: دراسة ميدالية على الأجهزة المعنية بمكافحة الفساد، أطروحة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية، الرياض، ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٠١٣، ص ١٥.

^٥ عبيد، محمد فتحي، الإجرام المعاصر، (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠١١)، ص ٩.

^٦ War Against Indiscipline WAI

^٧ هي جهة مالية عالمية كبرى تقرض الدول أموالاً في حال اقتصادية صعبة.

^٨ Independent Commission for Corrupt Practices ICPC/ Economic and Financial Corruption Commission. EFCC

^٩ Corruption and Poverty in Nigeria: A Report, (Abuja: ActionAid Nigeria, ٢٠١٥), ١٣

^{١٠} Y.O. Imam and A.B. Yusuf, The Changing Status of Islamic Studies in the Nigerian Secondary School's Curriculum, Conference Paper Presented at the ٤٠th Anniversary and

النمو الوطني

ence of Nigeria Association of Teachers of Arabic and Islamic Studies
at University of Ibadan from 5th to 7th December 2010. Pp-3-4
ous and National Values
The National Policy on Education, (Lagos: Federal Ministry of Education, 1977)
The National Policy on Education (Lagos, NERDC, 1980), p. 10

ثبت المراجع:

الأصفهاني الراغب، (٢٠٠١م): المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد
كيلاني، بيروت: دار
المعرفة.

الزحيلي، وهبة، (٢٠٠٣م): التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية، بحث
مقدم إلى المؤتمر

العربي والدولي لمكافحة الفساد، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
عبد القوي بن لطف الله علي جميل، (٢٠١٣م): أنماط الفساد وآليات مكافحته

في القطاعات

الحكومية بالجمهورية اليمنية: دراسة ميدانية على الأجهزة المعنية بمكافحة
الفساد، أطروحة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه الفلسفة
في العلوم الأمنية، الرياض.

علي، جعفر عبد السلام، (٢٠٠٣م): التعريف بالفساد وصوره من الوجهة
الشرعية، بحث مقدم إلى

المؤتمر العربي والدولي لمكافحة الفساد الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

عيد، محمد فتحي، (٢٠١١م): الإجرام المعاصر، الرياض: جامعة نايف
العربية للعلوم الأمنية.

Abuja Action Aid, (2010): Corruption and Poverty in Nigeria, A Report,
Abuja, Nigeria.